تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أثر التعليل القرآني بالأسماء والصفات الإلهية في المسلم

اسم الباحث

د/ نجوى نايف عبدالنبي شكوكاني

د. نجوى نايف عبد النبيّ شكوكاني

أثر التعليل القرآني

بالأسماء والصفات الإلهية في المسلم

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلىٰ استنتاج أثر التعليل القرآني بالأسماء والصفات الإلهية في المسلم؛ من حيث التغيير في تفكيره وبالتالي في معاملاته، حتىٰ يكون عنصرًا صالحًا وفاعلًا في إصلاح مجتمعه من حوله؛ وذلك من خلال شواهد عدّةٍ في آي الذكر الحكيم في مجالات كثيرة. مما يسوق إلىٰ حقيقة أهمية البيان القرآني التعليلي، وشموله لكثيرٍ من الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم كالأسماء والصفات الإلهية كما ورد في هذه الدراسة، وكذلك أهمية تعاضد البيان القرآني مع الواقع التطبيقي الإصلاحي في المجتمعات، حتىٰ يسود الأمن والرخاء والنهوض بالأمة الإسلامية، ذلك عبر أصول هذا الدين الحنيف من التوحيد لله تعالىٰ بأسمائه وصفاته.

وسيتبيّن ذلك -بإذن الله تعالىٰ- من خلال استخدام المنهج الاستقرائي لرصد وتتبّع آيات القرآن الكريم ذات الصِّلَة، للكشف عن نماذج **التعليل القرآني بالأسماء والصفات الإلهية**، مع الرُّجوع إلىٰ التفاسير لبيانها، وبيان مدىٰ اهتمام القرآن الكريم بها، وكذلك تتبع دراسات العلماء حولها ومن ثم مناقشتها، بالإضافة إلىٰ المنهج التحليلي لتحليل الآيات ذات الصلة والكشف عن أهمية التعليل القرآني بالأسماء والصفات الإلهية، واستنتاج آثار ذلك علىٰ تغيير فكر المسلم وكذلك معاملاته. فكانت أهم النتائج من هذه الدراسة هو ورود التعليل القرآني بالأسماء والصفات الإلهية في مواقع كثيرةٍ، وأن ذلك يؤثِّر في المسلم فكرًا ومعاملةً؛ مما ينعكس إيجابيًا علىٰ المجتمع وصلاحه.

الكلمات المفتاحية: أسماء الله، صفات الله، القرآن، التَّعليل، أثر، إصلاح.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ خاتم المرسلين محمّد الأمين الهادي البشير للأوَّلين والآخرين، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين،،

وبعدُ؛ فقد توجَّه أنظار النَّاس في هذا العصر وأفئدتهم للفوز بأكبر نصيب من الماديات التي تكفل لهم السّعادة الجسدية، فتشبع شهواتهم، وتقنع أهواءهم ورغباتهم، حتىٰ أصبح ذلك هدفًا وغايةً للكثير من المسلمين أنفسهم المخاطبين بطرح الرغبات المادية إذا تعارضت مع الأهداف الربانية، والتي تندرج كلها تحت هدفٍ واحدٍ وهو تحقيق العبادة لله تعالىٰ، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات]، وفي ظل ذلك وأثناء كل الابتلاءات التي يواجهها المسلم علىٰ مستوىٰ الفرد أو المجتمع أو الأمة، فهو يبحث عن الحل وعن الخلاص دائمًا لتحقيق الإصلاح، والأمن، وتحقيق الرخاء والنهضة لأمته وهو مشغولٌ بها ويسأل عن أسبابها.

ورغم كل ذلك فإن الخير كما تعلمنا وعهدنا، باقٍ في أمّة محمد ﷺ. وهنا نظرت في حال المسلمين أبحث عن السِّرِّ الذي جعلهم واقفين علىٰ أقدامهم كالجبال الرَّاسخة كلّ تلك الفترة من تاريخ الأمّة، يتلقون الصدمة تلو الأخرىٰ، ويتشرَّبون المحن والبلاء بصبرٍ واستعلاءٍ؛ حتىٰ تبيّن أنَّ قلوبهم قد عُقدت علىٰ العقيدة العظيمة الغرّاء، والتي فعلت فعلها في النُّفوس. هذه العقيدة القائمة علىٰ أركان الإيمان السِّتَّة؛ الضَّاربة الجذور في العقل والقلب والوجدان، وفي مقدمتها الإيمان بالله تعالىٰ وبأسمائه الحسنىٰ وبصفاته العظمىٰ، والذي هو الرُّكن الأساس.

وتأتي أهمية هذا البحث بأنّه محاولةٌ للكشف عن أثر أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ وصفاته العظمىٰ علىٰ حياة هذا المسلم، الذي ما برح ينافح عن عقيدته وحياته ضدّ كل العوائق الواقفة في وجه الأمّة، ساعيًا لبناء صرحٍ متينٍ من علاقات الحبِّ والتَّعاون والتَّآخي مع إخوته في كلِّ مناحي المجتمع، وكذلك علاقات التَّعارف والتَّواصل والتَّبادل المفيد مع كلّ الأطياف داخل وخارج بلدته. فإدراج التَّعليل بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته لم يأت مصادفةً؛ بل هو الإعجاز القرآني من خلال التّنويع الأسلوبي العقدي؛ لإبراز ما ينبغي علىٰ المسلم أن ينتهجه في فكره وأخلاقه وصفاته، وكذلك في تعامله مع غيره فيما تكون له آثاره العميقة والواسعة واليانعة في المجتمعات، والسَّير بها إلىٰ برِّ الأمان، والنُّهوض والرِّفعة لها وللأُمّة بعد ذلك.

ومع أنَّ موضوع الأسماء والصّفات كان له حظٌّ واسعٌ في مؤلفات علمائنا الأوائل وحتىٰ المعاصرين منهم؛ إلَّا أني حاولت -بتوفيق من الله تعالىٰ- إخراج تلك العقيدة الشَّامخة من سياقها النَّظري إلىٰ تفعيلها التَّطبيقي الرَّائع لتعظيم الله تعالىٰ؛ ذلك بربط هذا الموضوع بحياة الفرد والمجتمع، وفي واقعنا الحاضر لما فيه من إصلاح المجتمعات في هذا العصر الذي غاب أهله عن كثيرٍ من تعاليم ديننا الحنيف، وأخصّ غفلة الكثير عن حقيقة أسماء الله تعالىٰ، ودورها العظيم في ثبات الأُمّة علىٰ المبدأ. ممّا يُسهم أيضًا في الثَّراء الإيماني والبعد المعرفي. فعرضت في المحور الأوّل: ثبوت الأسماء والصفات لله تعالىٰ والإيمان بها، والمحور الثاني: المنهج الاعتقادي والتطبيقي للإيمان بأسماء الله وصفاته، والمحور الثالث: بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ وصفاته في سياق التَّعليل وآثارها.

□

ثبوت الأسماء الحسنى والصفات لله تعالى والإيمان بها

علىٰ الرغم من وضوح الآيات القرآنية الدَّالة علىٰ وجود أسماء حسنىٰ[1] لله تعالىٰ وكذلك وضوحها لتدل علىٰ صفات عظمىٰ له تعالىٰ، إلا أن الدارس لكتب العقائد الإسلامية قديمها وحديثها يجد نقاشًا قد دار بين علماء هذه الأمة حول ثبوت أو نفي لتلك الصفات أو الأسماء، فمنهم من نفىٰ الأسماء لله تعالىٰ، وسلَم بثبوت الصفات له، ومنهم من اعترف بالأسماء والصفات لله تعالىٰ.

فهناك فرقة المشبهة الذين يعتقدون أنّ الله مثل خلقه، ولا يفرِّقون بين الخالق والمخلوق، وهو مذهبٌ باطلٌ. وفي مقابله مذهب المعطّلة الذين غلوا في التَّنزيه حتىٰ نفوا عن الله تعالىٰ ما أثبته من الأسماء والصِّفات، فِرارًا من التَّشبيه بزعمهم. فكلا الطَّائفتين غلت، المعطّلة غلت في التَّنزيه لنفي المماثلة والمشابهة غلوًّا في الإثبات، وأهل السُّنَّة والجماعة توسَّطوا فأثبتوا ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه علىٰ ما يليق بجلاله، من غير تشبيهٍ ولا تعطيلٍ علىٰ حدِّ قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١]، نفي للتعطيل، وهذا المذهب الذي يسير عليه أهل السُّنَّة والجماعة. ولهذا؛ يقال: المُعطِّل يعبد عدمًا، والمُشبِّه يعبد صنمًا، والمُوحِّد يعبد إلهًا واحدًا فردًا صمدًا[2].

وقد خاض علماؤنا الأوائل في هذا البحث واختلفوا في كثير من جزئياته، وحاول كلٌ إثبات ما ذهب إليه، وموضوع هذا البحث لا يتسع لعرض كل ذلك الخلاف، أو المواضيع التي تتعلق بالأسماء والصفات لله تعالىٰ، كأقسامها، أو أنها توقيفية أو قياسية، أو أقسام الصفات .. الخ.

والنتيجة التي يقوم عليها هذا البحث هو ثبوت الأسماء والصفات لله تعالىٰ، كما أوضح الفوزان في (تعليقاته علىٰ العقيدة الطحاوية): «ونحن معشر أهل السُّنَّة والجماعة نثبت ما أثبته

---

(١) المعنىٰ الاصطلاحي لأسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ كما ورد عند الإمام ابن القيم: أنها أسماء الرب تبارك وتعالىٰ دالةٌ علىٰ صفات كماله، مشتقّةٌ من الصفات، فهي أسماءٌ وهي أوصافٌ، وبذلك كانت حسنىٰ؛ ولو كانت ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنىٰ، ولم تدلّ علىٰ مدحٍ ولا كمال، وهي المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص.
انظر: مدارج السالكين (٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٦)، وتيسير الكريم الرحمن (١/ ٥٠١).

(٢) التعليقات المختصرة علىٰ متن العقيدة الطحاوية (٣٢، ٣٣).

الله تعالىٰ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، من الأسماء والصفات، ولا نعطّلها ولا ننفيها، ولا نشبّه الله بأحدٍ من خلقه، بل نقول: أسماء الله وصفاته تليق به -سبحانه-، وإن كان هذه الأسماء والصفات موجودة في البشر، لكن الكيفية مختلفة، والصِّفة تابعةٌ للموصوف»[(١)].

ومع أن موضوع صفات وأسماء الله تعالىٰ هو ضمن البحث في الذات الإلهية، والأصل أن المسلم لا يخوض في الذات الإلهية. لكن الظروف السياسية والفكرية التي سادت العصور الإسلامية بعد الفتوحات الإسلامية، وتسرب الأفكار الفلسفية من الأمم الأخرىٰ، وتفرق المسلمين إلىٰ جماعاتٍ وفرقٍ من متكلمين ومعتزلةٍ وغيرهم، دفعت العلماء في ذلك الوقت لمناقشة هذا الموضوع والخوض فيه بصورةٍ أبعدته عن غايته. والأولىٰ طرح هذه العقيدة بمفهومها العملي الذي يؤثر في سلوك الناس حتىٰ تحقق أهدافها في الفرد والجماعة.

وقد ثبتت الأسماء لله تعالىٰ باللفظ الصريح في أربع آياتٍ في القرآن الكريم كالآتي:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[الإسراء]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾[طه]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر].

وقد فسّر الرَّازيُّ الآية الأولىٰ بقوله: «يدل علىٰ أنه تعالىٰ حصلت له أسماء حسنة، وأنه يجب علىٰ الأنسان أن يدعو الله تعالىٰ بها، وهذا يدل علىٰ أن أسماء الله تعالىٰ توقيفيّة لا اصطلاحية»[(٢)]. أي: أنَّ صفات الله -تعالىٰ- توقيفية، ورد فيها نصوص قطعية، ولا مجال لزيادة صفة أو إنقاصها ممّا هو مقطوعٌ فيه، أو شرحها بغير ما ورد في تلك النصوص القطعية. بالإضافة إلىٰ ذلك؛ فإنَّ القرآن الكريم عرض لكثير منها.

وقد ثبتت تلك الأسماء في الأحاديث النَّبوية الشَّريفة، ومنها: ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الوَتْرَ**»[(٣)]، وهذا التَّأكيد علىٰ حفظها باللسان والعمل هو دليل أهميتها وأثرها علىٰ حياة المسلم إذا تمثَّل معانيها وعمل بمقتضاها.

---

(١) المرجع نفسه (٢١٦).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ٤١٥).

(٣) أخرجه البخاريّ (٦٤١٠).

كما أنَّ الدليل العقلي يقوم علىٰ إثبات تلك الصِّفات؛ من خلال النظر في الكون والإنسان وما بث فيهما الله تعالىٰ من آيات كلها أدله مرئية علىٰ الخالق المتصف بكل صفات العظمة والكبرياء، والقوة والعلم والحلم ... الخ، فصفات العجز والقهر والضعف والاحتياج والمحدودية التي تعيشها الكائنات وخاصة الإنسان كلها براهين علىٰ صفات الكمال للرب والإله.

وقولة تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يفيد الحصر، ومعناه أن الأسماء الحسنىٰ ليست إلا لله تعالىٰ، والبرهان العقلي يدل علىٰ صحة هذا المعنىٰ، وذلك لأن الموجود إما واجب الوجود لذاته، وإما ما سوىٰ ذلك الواحد، فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محتاج في ماهيته وفي وجوده وفي جميع صفاته الحقيقية والإضافية والسلبية إلىٰ تكوين الواجب لذاته، ولولاه لبقي علىٰ العدم المحض والسلب الصرف، فالله سبحانه كامل لذاته، وكمال كل ما سواه فهو حاصل بجوده وإحسانه، فكل كمال وجلال وشرف، فهو له سبحانه بذاته ولذاته وفي ذاته، ولغيره فعلىٰ سبيل العارية، والذي لغيره من ذاته فهو الفقر والحاجة والنقصان والعدم، فثبت بهذا البرهان البين أن الأسماء الحسنىٰ ليست إلا لله والصفات الحسنىٰ ليست إلا لله»[1].

من ذلك يظهر ثبوت الأسماء والصفات للباري تعالىٰ بالكتاب والسنة والعقل، لأن الإيمان بالله تعالىٰ هو من أوليات الأصول العقيدية، وذلك يقضي ثبوت ووضوح الأسماء والصفات الدالة علىٰ ربوبية وألوهية الله تعالىٰ.

□

(١) التفسير الكبير (١٥/ ٤١٤).

المنهج الاعتقادي والتطبيقي للإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته:

حتىٰ نستنتج آثارا للإيمان بأسماء الله تعالىٰ وصفاته؛ فلا بد من التطرق إلىٰ المنهج العملي لذلك الإيمان؛ لأن الآثار لن تظهر علىٰ صاحبها، ولن تتحقق إلا باتباع المسلم منهجًا ربانيًا يُملىٰ عليه من خلال أوامر الله تعالىٰ في القرآن الكريم ومن خلال التوجه النبوي لسلوك الفرد.

ويمكن استنتاج المنهج الاعتقادي والفعلي؛ بالقول والسلوك للإيمان بأسماء الله تعالىٰ وصفاته؛ من خلال العرض القرآني لها ضمن الأوامر والنواهي، وكذلك من السيرة النبوية المشرفة. ويتمثل هذا المنهج ابتداء بالإيمان والتصديق القلبي والعقلي بالله تعالىٰ وصفاته. حيث إنّ غالبية آيات القرآن الكريم تنهج ذلك الأسلوب للإيمان.

وقد أورد علماء العقيدة أن الإيمان بالله تعالىٰ يقوم علىٰ توحيده بالأقسام الثلاثة توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات[1].

وقد تتحقق بعض الفوائد من مجرد الاعتقاد بأسماء الله الحسنىٰ، أو بمجرد ذكر تلك الأسماء ضمن وِردٍ يخصصه المسلم في يومه. لكن الآثار والفوائد العملية للإيمان بهذه الأسماء لن تشمل وتغمر حياة المسلم في كل نواحيها، إلا إذا كان ذلك الإيمان اعتقادًا وقولًا وسلوكًا.

ويمكن استنتاج المنهج الاعتقادي[2] والفعلي؛ بالقول والسلوك للإيمان بأسماء الله تعالىٰ وصفاته؛ من خلال العرض القرآني للأفكار الإسلامية ضمن الأوامر والنواهي،

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه الأقسام انظر: التعليقات المختصرة (٢٨، ٢٩).

(٢) والاعتقاد من العقيدة، وهي كما أوضحها ابن باديس بأنّ: الدِّينُ كلُّه عَقْدٌ بالقلب ونطْقٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح الظاهرة والباطنة. وكلّ واحدٍ من الثلاثة يُسمَّىٰ إِيمَانًا باعتبارٍ، ويسمَّىٰ إِسلامًا باعتبارٍ آخر. فَعَقْدُ القلب يسمّىٰ إيمانًا لأنه تصديقٌ، ويسمّىٰ إسلامًا لأن عقد القلب علىٰ الشيء إذعانٌ وخضوعٌ له. ونطق اللسان بالشهادتين يسمّىٰ إيمانًا؛ لأنه دليلٌ علىٰ التصديق ويسمّىٰ إسلامًا لأنه دليلٌ علىٰ الخضوع والانقياد. وتأتي العقيدة بمعنىٰ الإيمان، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة]. انظر: العقائد الإسلامية (٥٣).

وكذلك من السيرة النبوية الشريفة. فالاعتقاد يكون بتوحيد[١] الأسماء والصفات لله تعالىٰ؛ ويقوم هذا التوحيد علىٰ تنزيهه عن مشابهة الخلق وعن أي نقصٍ؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

والإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، دون تجاوزها بالنقص أو الزيادة أو التحريف أو التعطيل كما علمنا الله تعالىٰ في كتابه فهو الأعلم كما قال: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. ودون السؤال عن كيفيتها[٢].

من ذلك يظهر أنه لن يصح إيمان الفرد إلا باعتماد تلك الأسس الثلاثة في عقيدة الأسماء والصفات؛ فيتضمّن توحيده في ألوهيته وربوبيته[٣]، وفي أسمائه وصفاته؛ أي أن المسلم يعتقد بتفرد الله تعالىٰ بالربوبية والألوهية، وصفات الكمال وأسماء الجلال، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله تعالىٰ؛ حتىٰ يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وأنه الكامل صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره. وعليه فإن المسلم إذا اعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الله تعالىٰ رب كل شيء ولا رب غيره، وأنه هو الإله ولا إله غيره، وأن كل صفات الجمال والجلال هي له وحده لا تكون لغيره؛ تحقق كل ذلك في سلوكه؛ حتىٰ يغدو ذاكرًا لربه لا يفتر لسانه تمجيدًا وتحميدًا واستغفارًا، كما يستشعر قلبه عظمة الإله الخالق في كل شيءٍ خلقه، يتفكر ببديع صنعه، ودقة إحكامه، فيعلم أن الله تعالىٰ هو الواحد الأحد، المحيي المميت، النافع الضار، المعز المذل، فيقبل علىٰ خالقه بالدعاء والتضرّع والعبادة، والاستسلام والخضوع[٤].

---

(١) **معنىٰ التوحيد في اللغة**: جاءت كلمة التوحيد من الفعل الثلاثي وحَد، وحِد فلان يوحَد أي بقي وحده، وأحدٌ أي منفرد، والواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنّىٰ ولا يقبل الانقسام ولا نظير له، مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله تعالىٰ. انظر: لسان العرب (١٥/ ٢٣١، ٢٣٣).
التوحيد في المعنىٰ الاصطلاحي: أن الله تعالىٰ واحدٌ لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره. انظر: العقيدة الطحاوية (٣)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٧).

(٢) انظر: التعليقات المختصرة (٣٢-٣٩).

(٣) **الربوبية لغة**: ربب: الرب: هو الله عز وجل، هو رب كل شيءٍ أي مالكه، وله الربوبية علىٰ جميع الخلق، لا شريك له، ورب كل شيء مالكه ومستحقه، وقيل صاحبه، وكل من ملك شيئًا فهو ربه، يقال ربّ الدابة، وفلان ربّ البيت، والرب يطلق في اللغة علىٰ المالك والسيّد والمدبّر، والمربّي والقيّم والمنعم، ربّ الشيْ إذا أصلحه. انظر: لسان العرب (٥/ ٩٤-٩٦).

(٤) انظر: التعليقات المختصرة (٢٨-٣٢).

ولذلك جاء المنهج القرآني بالأدلة والأساليب الكثيرة في عرضها. وبعد الاعتقاد بأسماء الله تعالىٰ وصفاته، يأتي المنهج الثاني التطبيقيّ والمتمثّل بالقول والعمل؛ والذي يشمله ذكر الله تعالىٰ قولا وعملا بتلك الأسماء[١]؛ باللسان بالتحميد والتسبيح، والأذكار النبوية، وبالقلب؛ عن طريق التفكر في دلائل الذات والصفات، والتفكر في دلائل التكاليف في الأمر والنهي والوعد والوعيد، فيعرف حكمها وأسرارها فيقبل علىٰ فعل الطاعات ويترك المحظورات، كما يتفكر في أسرار مخلوقات الله تعالىٰ، ولا يكون المسلم ذاكرًا لله تعالىٰ بالمعنىٰ السابق إلا إذا كان مطيعًا له، فالمعاصي تنسيه ربه، فقيام الجوارح بالطاعات وإدبارها عن المعاصي هو أيضًا تطبيقًا عمليًا لتوحيد الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته؛ لذلك جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة بمنهجٍ تربويٍ يساعد المسلم علىٰ الاستفادة من ذكر الله تعالىٰ في جميع أوقاته، وربطت هذا الذكر بطاعة الله تعالىٰ والإنابة إليه، قال تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً**»[٢].

□

(١) انظر: الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

بعض أسماء الله الحسنى وصفاته في سياق التعليل وآثارها[1]

إنَّ العلم بأسماء الله -تعالىٰ- وصفاته، وفقه معناها، والعمل بمقتضاها، والتَّوجه إليه بها= يُوجِدُ في قلوب المتَّقين تعظيمَ الباري، وتقديسَه ومحبتَه ورجاءَه وخوفَه والتَّوكُلَ عليه، والإنابةَ إليه، فيصبح الله -تعالىٰ- هو المثل الأعلىٰ الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا تكون لأحدٍ مثل هذه المكانة في قلوبهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة].

ذلك؛ أنَّ الإيمان يزيد بالعلم والعمل. ومن خلال استقراء الآيات القرآنية يمكن الاستنتاج بأنَّ أسماء الله الحُسنىٰ وصفاته العظمىٰ لها دورٌ أساسٌ في كلّ المواضيع والمجالات التي طرقها القرآن الكريم؛ عقيدةً وشريعةً بمناحيها المختلفة، وذلك لأنَّ كثيرًا من الآيات كانت تُختم باسمٍ أو صفةٍ لله تعالىٰ، وغالبًا في سياق التَّعليل؛ ولا يستغرب من ذلك ما دامت الأسماء والصفات الإلهية لها أثرٌ عظيمٌ في العقيدة والتّربية والسُّلوك. ففي المجال الاجتماعي مثاله: ما ورد عن مخالطة اليتامىٰ أو الطَّلاق في قوله تعالىٰ: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧﴾ [البقرة].

وفي المجال السياسي مثاله في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾ [آل عمران]، وفي المجال الاقتصادي مثاله؛ في قوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة]، وفي الجانب التَّعليمي مثاله في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر]. وغيرها من الآيات التي تعلم المسلم ليكشف السر في ختم الآيات بالتعليل بأسماء الله الحسنىٰ.

---

(١) **معنىٰ كلمة أثر في اللغة**: هو بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور، والأثر ما بقي من رسم الشيء، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، وأثّر في الشيء ترك فيه أثرًا، والآثار الأعلام. **وأما معنىٰ كلمة أثر في الاصطلاح**؛ فلها ثلاثة معانٍ؛ النتيجة وهو الحاصل من الشيء، أو العلامة، أو قد يأتي بمعنىٰ الجزء، انظر: معجم التعريفات (١/ ٩).

جميع الأسماء الإلهية لها في الواقع معنىٰ للنفس البشرية؛ فهي في الحقيقة صفات لله تعالىٰ وإن توحيده بأسمائه وصفاته هو من الأصناف المتضمنة لمفهوم التوحيد، والذي لا يتم إيمان الفرد إلا به، لذلك فإن المسلم يقبل علىٰ تلك الأسماء ليس بترددها علىٰ لسانه فقط؛ بل بالفهم والفقه والتدبّر؛ لاستنتاج الغاية من الإقبال عليها. وسأعرض بعض تلك الأسماء والصفات وآثارها، التي جاء في سياقها التعليل والمتعلق بها. فالتعليل وجهٌ من أوجه تفسير القرآن الكريم الذي به يزداد المسلم عُمقًا في فهم آي القرآن الكريم، وبه تتكشف مقاصد القرآن الكريم؛ التي يسعىٰ المسلم إلىٰ تحقيقها في حياته؛ وقد جاء التعليل بأسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ في عدة مواضع في آي الذكر الحكيم؛ سواءٌ في فواصل الآيات أو أثناء ذكر حُكمٍ أو بيان حَدَثٍ، لكن غالبية آيات القرآن الكريم قد خُتمت بأسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، ضمن تعليل لما تضمنته الآية التي وردت فيها هكذا فسرها كثيرٌ من العلماء كما سيتبيّن بعد توضيح معنىٰ أسماء الله الحسنىٰ وصفاته في سياق التعليل في الآتي.

□

التعليل[1] في الاصطلاح يختلف حسب موضوعه؛ ففي البيان هو: بيان العِلَّة أيا كانت صورة البيان؛ سواء كان التعليل بواسطة المفعول لأجله، أو بالجر، أو بواسطة «لعلَّ» أو بأية وسيلةٍ أخرىٰ»[2]. وعند الأصوليين: هو: «تبيين علة الشيء، أو ما يُستدل فيه بالعلَّة علىٰ المعلول، ويسمَّىٰ برهانًا لَمِّيًّا، ويراد به بيان العلل، وكيفية استخراجها، وهذا قد يكون لأجل القياس، وهو ردُّ فرعٍ إلىٰ أصل، لمساواته في علة حكمه، وقد يكون لغير ذلك، وعند النحويين: هو إظهار العلة في كل حكمٍ إعرابي أو بنائي، ويسمَّىٰ أيضًا السَّببية»[3].

ويأتي في القرآن الكريم بكثرةٍ وبالوسائل التي يؤدي بها وظيفته داخل الجملة أو التركيب؛ وبإحدىٰ أدوات التعليل المعروفة؛ حرفًا كانت أم اسما، أو بغير أداةٍ تؤدِّيها كما في التعليل بالجملة، والمعوِّل في ذلك علىٰ السياق الذي حمل تلك العلَّة؛ لتعيين الوسيلة؛ وهي: اللام، كي، الباء، الفاء، مِن، لعلَّ، في، عن، حتىٰ، علىٰ، الكاف، إنَّ، كما يكون التعليل أيضًا بالاسم؛ بالمفعول له، وبما يحتمل الحرفيَّة والإسميَّة كإذ، والتعليل بالجملة[4]. فهو

---

(١) **التعليل لغة**: مأخوذٌ من جذر الكلمة علل؛ وله عدة معانٍ منها ما يأتي بمعنىٰ الشربة الثانية أو السقية الثانية، فيقال عللٌ بعد نهل لأن التعليل سقيٌ بعد سقي، وكذلك جني الثمرة مرةً بعد أخرىٰ. انظر: لسان العرب (٦/ ٣٦٥، مادة: علل). والعِلَّة: المرض، أو حَدَثٌ يشغَل صاحبه عن وجهه، أي كأن تلك العلةَ صارت شُغلًا ثانيًا منعه عن شُغله الأول. انظر: الصحاح (٥/ ٤١-٤٢). والعِلِّة: سبب الشيء. انظر: موسوعة علوم اللغة العربية (٤٥٢). من ذلك؛ فإنَّ التعليل: كلَّ معاني التكرار والإعادة، والمعاودة، كالمرض، أو الانشغال بهذا الأمر أو العذر والسبب، أي يُقال لكل معتذرٍ ومعتل أن عنده علَّة.

(٢) البيان في روائع القران (١٦).

(٣) المعجم المفصل في الصرف (١٨٨، ١٨٩). معنىٰ السَّببية في اللغة: «مصدر صناعي من السبب: وهو كل شيءٍ يُتوصَّل به إلىٰ غيره، أو كل شيءً يُتَوسَّل به إلىٰ شيءٍ غيره. والسبب في الاصطلاح: العلَّة المجوِّزة. والسَّببيَّة في الاصطلاح: التعليل، أي تبيان السبب في كل حكمٍ في إعراب الكلمة». انظر: المرجع نفسه (٢٧٨-٢٧٩).

(٤) التعليل في القرآن الكريم (٥-١١). وقد اخترت حصره لتلك الأدوات الواردة في القرآن الكريم، والتي سيأتي بيانها فقط هنا. وهناك خلاف علىٰ غيرها كالحروف: (إذًا، إلىٰ، كما، كأن)، انظر: أسلوب التعليل في اللغة العربية (٧٨، ٧٩).

واحدٌ من الأساليب البيانية القرآنية، والذي له حضورٌ زاخرٌ في آياته وفي شتىٰ المواضيع والمجالات.

والمقصود بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته في سياق التعليل: هو ورود التعليل مع اسم الله تعالىٰ أو صفته في سياق الآية وتعلقه به. فقد كان لهذا الاقتران بين أسلوب التعليل وأسماء الله الحسنىٰ وصفاته التي تشكل المحور الأساس في شخصية المسلم آثارٌ لا بد من تتبعها وإبرازها؛ ذلك لدورها في سلوك الفرد مع نفسه ومن ثم في مجتمعه.

□

في قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر] يطلب الله من المسلم السَّير في الأرض، وأخذ الدّرس والعبرة في إنزال العقوبة فيمن كفر وجحد وفسد، رغم قوته وجبروته، وختمت بجملةٍ تعليليةٍ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾، وهذه الصفة تعني: أنّه «لا يعجزه شيء، بل يستتب له ما يريد، لأن أفعاله ظهرت ولا يظهر الفعل اختيارا إلا من قادر غير عاجز كما لا يظهر إلا من حي عالم»[1]. وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم سبع مراتٍ. هذه الصفة تبعث في نفس المؤمن العزة والفخر بمعبوده، كما تبعث فيه الهمة والإقدام والشجاعة، واليقين بقدرة الله تعالىٰ علىٰ تغيير الحال إلىٰ أحسن حال، من هزيمةٍ إلىٰ نصرٍ، ومن فقرٍ إلىٰ غنىٰ، ومن شقاءٍ إلىٰ سعادةٍ، ومن يأسٍ إلىٰ تفاؤلٍ وتوبةٍ.

وإن القوة التي يتمتع بها من آمن بالله القوي القادر علىٰ كل شيء؛ هي قوةٌ علىٰ نفسه أولًا ثم علىٰ أعداءه؛ لأنها تجعل المسلم في غاية القوة فلا يلتفت إلىٰ ما سوىٰ الله تعالىٰ، ويرجح الآخرة علىٰ مشتهيات النفس، أما إذا صار مغلوب النفس غارقًا في طلب اللذات الجسمانية، فهذه الروح في طريقها إلىٰ الضعف، ويلاحظ عبر التاريخ الإنساني الإسلامي أن نصر الفئة المؤمنة لم يكن دائمًا بسبب قوة سلاحٍ أو عتادٍ، بل بإيمانها الصادق بقوة الله تعالىٰ وعزته وأنه ينصر عباده. كما أن صفات القدرة والقوة والكبرياء والعزة لله تعالىٰ تشعر المسلم بمعاني العزة والاستعلاء؛ فهو يستمد هذه القوة وهذا الاستعلاء من إيمانه بربه المتصف بتلك الصفات، بل إن المتدبر في الآية يظهر له أنه كان من الأولىٰ بالأقوام والأمم أن توجه قوتها وشدتها لإعمار الأرض وإصلاح المجتمعات، بدل التكذيب والعناد والتصدي للحق، ذلك أن بطشها لم ينفعها بل أرداها إلىٰ الهاوية والسحق والمحق.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد] اسم الإشارة منصرفٌ إلىٰ مضمون قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[محمد: ١٠]، بتأويل ذلك المذكور، لأنه يتضمن وعيدًا للمشركين بالتدمير، وفي تدميرهم انتصارٌ للمؤمنين علىٰ ما لقوا منهم من الأضرار، فأفيد أن ما توعّدهم الله تعالىٰ به مسبب علىٰ أن الله تعالىٰ نصير الذين آمنوا وهو

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٦٤).

المقصود من التعليل وما بعده تتميم، والمولىٰ، هنا الولي والناصر. والمعنىٰ: أنَّ الله تعالىٰ ينصر الذين ينصرون دينه وهم الذين آمنوا ولا ينصر الذين كفروا به، وأشركوا، وإذا كان لا ينصرهم فلا يجدون نصيرًا لأنه لا يستطيع أحدٌ أن ينصرهم علىٰ الله»[١].

وخلاصة المعنىٰ: «أن الله تعالىٰ أخبر أن الذين آمنوا بالله ورسله، وصدقوا إيمانهم بالقيام بواجبات الإيمان، وتَرْك كل ما ينافيه، أنه وليّهم، يتولاّهم بولايته الخاصة، ويتولّىٰ تربيتهم فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر، والمعاصي، والغفلة، والإعراض، إلىٰ نور العلم، واليقين، والإيمان والطاعة، والإقبال الكامل علىٰ ربهم، ويُنَوِّر قلوبهم بما يقذف فيها من نور الوحي والإيمان، ويُيَسِّرُهم لليُسرىٰ، ويجنّبهم العُسرىٰ، ويجلب لهم المنافع، ويدفع عنهم المضارّ، فهو يتولّىٰ الصالحين»[٢].

وثمرة هذا التعليل تقطع ولاية الكافرين، وتدفع إلىٰ موالاة المسلمين بعضهم لبعضٍ في المجتمعات والحرص علىٰ بعضهم بعضًا بالإصلاح والاهتمام علىٰ كل الأصعدة معنويًا وماديًا. وهذا الولاء لا يقتصر أثره علىٰ الفرد بل إن فيه توحيدًا لجماعة المسلمين لغاية واحدة وقيادة واحدة فالأمة خاضعة بولاتها لمولىٰ واحدٍ؛ حتىٰ تتعمق آصرة الأخوة الإيمانية فيكون لذلك الدور العظيم في الدفع إلىٰ الحياة والإقبال عليها بالإعمار والإصلاح.

ومن الأمثلة قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة]، يلاحظ أنَّ الآية الأولىٰ ختمت بالصفة ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ لأنه تقدم ذكر خلق الأرض والسَّماء والتَّصرف في العالم العلوي والسُّفلي، وعن الإماتة والإحياء وغيرها؛ وكلّ ذلك لا يصدر إلَّا عن العلم الكامل التَّامّ المحيط بجميع الأشياء؛ لهذا فقد وصف الله تعالىٰ نفسه بالصِّفة التي دلَّت علىٰ المبالغة في صفات الله -تعالىٰ-؛ لأنَّ علمه واحدٌ لا تكثير فيه، فلمَّا تعلَّق علمه بالجميع كليِّه وجزئيِّه، دقيقَه وجليلَه، معدومه وموجودَه، ناسب مقطع هذه الآية بالوصف بمبالغة العلم[٣]؛ فهنا جاء التَّذييل بالتَّعليل بهذه الصفة، بسبب تلك العِلّة التي ذكرتها الآية والدَّالَّة علىٰ العلم الواسع غير المنتهي والشَّامل والكامل.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٨٨، ٨٩).

(٢) شرح أسماء الله الحسنىٰ في ضوء الكتاب والسُّنَّة (١/ ٢١٥).

(٣) البحر المحيط (١/ ٢٢٠).

أمَّا الآية الثَّانية؛ فقد ختمت بصفات الجلالة ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾؛ «لأنه سبق قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فلمَّا صدر من هذا المجعول خليفةً، ما صدر من فضيلة العلم تبيّن لهم وجه الحكمة في قوله وجعله خليفةً»[١]، أي: أنَّ الملائكة قد نفوا العلم عن أنفسهم ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ لكنهم أثبتوه لله -تعالىٰ- علىٰ أكمل أوصافه من المبالغة فيه، ثمّ وصفوا الله تعالىٰ بالعلم وأردفوه بالحكمة؛ وهذا من حسن جوابهم حيث قدَّموا بين يديه تنزيه الله تعالىٰ، ثمّ اعترفوا بالجهل، ثمّ نسبوا إلىٰ الله -تعالىٰ- العلم والحكمة، ثمّ إنَّ الحكمة هي من آثار العلم، وناشئةٌ عنه، فناسب تقديم الوصف بالعلم علىٰ الوصف بالحكمة[٢].

فكانت أسماء الله -تعالىٰ- الحسنىٰ مناسبة في موقعها؛ لأنّها عَلَّلت ما قبلها. ومثل ذلك ذكر أيضًا الإمام أبو السُّعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيثُ بيَّن أنَّ الآية: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ هي تعليلٌ لما سبق من قِصَر علم الملائكة بما علّمهم الله تعالىٰ»[٣].

ذلك الختم بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته بالتَّعليل، له أثره في تسلق المسلم لمراتب العلم والارتقاء بها لتكون له النور في عطائه نحو مجتمعه تنظيمًا وازدهارًا.

وهذا مثالٌ آخر في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ «كرَّر تعليلًا بأنَّه الحقيق بالحمد»[٤]. وأكّد ذلك الإمام الكرماني في توضيحه للآية نفسها، فذكر عِلّة الإتيان بتلك الصفات لله تعالىٰ؛ بأنَّ الرَّحمة هي الإنعام علىٰ المحتاج، ولم يكن في الآية الأولىٰ ذكر المنعم عليهم، فأعادها مع ذكرهم، فقال: ربُّ العالمين الرَّحمن لهم يرزقهم، الرَّحيم بالمؤمنين يوم الدِّين.

يتبيّن مما سبق كيف ترسخ المعنىٰ الذي أرادته الآية من خلال عرض أسماء الله الحسنىٰ بأسلوبٍ تعليليٍ لفت الأنظار إلىٰ استنتاج تلك المعاني؛ فصفة عليم تثير في النفس ما هي مظاهر ذلك العلم الذي ساقته الآية التي ذُيّلت بتلك الصفة. وصفة العليم الحكيم التي ذكرتها الملائكة لله بذاك الأسلوب قد أفصح عن سبب جهلهم هم، وقِصر علمهم. وصفات الرحمن الرحيم أيضًا كشفت بنفس الأسلوب

---

(١) المرجع نفسه (١/ ٢٣٩).
(٢) انظر: المرجع نفسه.
(٣) انظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٨٥).
(٤) جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ٢٣).

أحقية الله للحمد من عباده؛ المنعم المتفضّل عليهم، الرحمن لهم يرزقهم، الرحيم بالمؤمنين يوم الدين، وذلك فيه تعظيم للمولىٰ تعالىٰ، ويبعث إلىٰ تراحم المسلمين فيما بينهم لما ينفع مجتمعاتهم.

الخاتمة

وبعد؛ فمن خلال تتبع آيات تعليل أسماء الله الحسنىٰ وصفاته وأقوال التفاسير فيها، ومن ثمّ تحليلها خلصت إلىٰ النتائج الآتية:

١- الظروف السياسية والفكرية التي سادت العصور الإسلامية بعد الفتوحات الإسلامية، وتسرب الأفكار الفلسفية من الأمم الأخرىٰ، وتفرق المسلمين إلىٰ جماعاتٍ وفرقٍ، دفعت العلماء في ذلك الوقت لمناقشة أسماء الله الحسنىٰ وصفاته والخوض فيه بصورةٍ أبعدته عن غايته. والأولىٰ طرح هذه العقيدة بمفهومها النظري العملي الذي يؤثر في سلوك الناس حتىٰ تتحقق أهدافها علىٰ الفرد والجماعة.

٢- العلم بأسماء الله تعالىٰ وصفاته وفقه معناها والعمل بمقتضاها والتوجه إلىٰ الله تعالىٰ بها، يوجد في قلوب المتقين تعظيم الباري، وتقديسه ومحبته ورجاؤه وخوفه والتوكل عليه، والإنابة إليه، فيصبح الله تعالىٰ هو المثل الأعلىٰ الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته؛ فلا تكون لأحدٍ مثل هذه المكانة في قلوبهم.

٣- آثار الايمان بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته لن تظهر علىٰ صاحبها، ولن تتحقق إلا باتباع المسلم منهجًا ربانيًا يُملىٰ عليه من خلال أوامر الله تعالىٰ في القرآن الكريم ومن خلال التوجه النبوي لسلوك الفرد.

٤- أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العظمىٰ لها دورٌ أساسٌ في كل المواضيع والمجالات التي طرقها القرآن الكريم؛ عقيدةً، وشريعةً بمناحيها المختلفة، وذلك لأن كثيرًا من الآيات كانت تختم باسم أو صفة لله تعالىٰ وغالبا في سياق التعليل؛ ولا يستغرب من ذلك ما دامت الأسماء والصفات الإلهية لها أثرٌ عظيمٌ في العقيدة والتربية والسلوك.

٥- اقتران التعليل مع اسم الله تعالىٰ أو صفته في سياق الآية وتعلقه به له آثارٌ لا بد من تتبعها وإبرازها؛ لدورها في سموّ سلوك الفرد مع نفسه ومن ثم في مجتمعه.

٦- وثمرة التعليل باسم المولىٰ؛ تقطع ولاية الكافرين، وتدفع إلىٰ موالاة المسلمين بعضهم لبعضٍ في المجتمعات والحرص علىٰ بعضهم بعضًا بالإصلاح والاهتمام علىٰ كل الأصعدة معنويًا وماديًا. وفيه توحيد لجماعة المسلمين لغاية واحدة وقيادة واحدة فالأمة خاضعة بولاتها لمولىٰ واحدٍ؛ حتىٰ تتعمق آصرة الأخوة الإيمانية فيكون لذلك الدور العظيم في الدفع إلىٰ الحياة والإقبال عليها بالإعمار والإصلاح.

٧- الختم باسم الله العليم بالتعليل، له أثره في تسلق المسلم لمراتب العلم والارتقاء بها لتكون له النور في عطائه نحو مجتمعه لإصلاحها تنظيمًا وازدهارًا ورقيًّا. وكذلك التعليل باسم الرحمن والرحيم؛ يبعث إلىٰ تراحم المسلمين فيما بينهم لما ينفع مجتمعاتهم.

وأخيرًا؛ توصي هذه الدِّراسة بإدراج تعليم أسماء الله الحسنىٰ وصفاته ضمن المناهج التربوية في كل المراحل الدراسية، خاصةً ما وردت في سياقها التعليل الباعث علىٰ التفكير والفهم؛ لما لها من بالغ الأثر في ترسيخ كل معاني الخير والرحمة والعلم والتعاون والعطاء والسعي لإرساء الإصلاح المجتمعي بكل جوانبه؛ ذلك لانطلاقه من العقيدة الضاربة في الجذور.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن أبي العز، علي بن علي بن محمد. (١٤٣٢هـ). شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق: أبي العباس العدني. يواسين بن علي بن سالم الحوشبي. الكويت: جمعية إحياء التراث الاسلامي. ط٤.
- ابن باديس، عبد الحميد محمد. (د. ت). العقائد الاسلامية. رواية: محمد الصالح رمضان، الجزائر: مكتبة الشركة الجزائرية مرازقة بوداود وشركاؤهما. ط٢.
- ابن القيم الجوزية، (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م). محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: ناصر بن سليمان السّعوي. علي بن عبد الرحمن القرعاوي. صالح بن عبد العزيز التويجري. خالد بن عبد العزيز القرعاوي. محمد بن عبد الله الحصيري. السعودية: دار الصميعي. ط١.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، (د.ط).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط١.
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر. د. ط.
- الأسمر، راجي. (١٤١٣هـ). المعجم المفصل في الصرف. مراجعة: إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله. (١٤٢٤هـ). جامع البيان في تفسير القرآن ومعه حاشية محمد بن عبد الله الغزنوي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١.
- البخاري، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم. (٢٠١١م). صحيح البخاري. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه لغويا: أحمد محمد معوّض. مصر: مكتبة فيّاض. د. ط.

- بديع، يعقوب أميل (١٤٢٧هـ). موسوعة علوم اللغة العربية. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر. (١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣). الأسماء والصفات للبيهقي. تحقيق وتخريج الأحاديث وتعليق: عبد الله بن محمد الحاشدي. تقديم: مقبل بن هادي الوادعي. المملكة العربية السعودية، جدة: مكتبة السوادي. ط١.
- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. (١٤٠٢هـ). معجم التعريفات. تحقيق: محمد صديق المنشاوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٩٠م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار. بيروت: دار العلم للملايين، ط٤.
- حسان، تمام. (٢٠٠٣م). البيان في روائع القرآن دراسةٍ لغويةٍ وأسلوبيةٍ للنص القرآني. مصر: عالم الكتب. ط٢.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين. (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩). مفاتيح الغيب، التفسير الكبير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط٣.
- الطحاوي، أبو جعفر. (١٣٩٤هـ). العقيدة الطحاوية. شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني. د. م، دط.
- عباس، أحمد خضير. (١٩٩٩م). أسلوب التعليل في اللغة العربية. بحث مكمل لمرحلة الماجستير في الآداب، الجامعة المستنصرية. بغداد.
- العمادي، محمد بن محمد بن مصطفىٰ. (د. ت). تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم. بيروت: إحياء التراث العربي. د. ط.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٤٢٥هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان. مصر: مكتبة الصفا. ط١.
- الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، التعليقات المختصرة علىٰ متن العقيدة الطحاوية، (السعودية: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف. (د. ت). شرح أسماء الله الحسنىٰ في ضوء الكتاب والسُّنَّة. الرياض: مطبعة سفير. مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، د. ط.

- القرني، سعيد بن محمد بن عبد الله. (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م). التعليل في القرآن الكريم (دراسة نحوية). إشراف: الأستاذ الدكتور مصطفىٰ إبراهيم علي عبد الله. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرىٰ، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا العربية، فرع اللغة والنحو.
- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. ١٩٥٤م. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط.
- المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفىٰ محمد عمارة. مصر: دار الحديث. د. ط.